توت عنخ آمون

وحضارة عصره

هذه هي القصيدة العصماء التي جادت بها قريحة أمير الشعر المرحوم ايامُ ما كشف المنقبون عنهُ اخيراً من مظاهر حضارة مصر في عهد الاسرة الثامنة عشرة وقد نقلناها عن « السياسة » باذن منشئها

درجتْ على الكنزِ القرونْ وأتت على الدنّ السنون
خمرِ السيوفِ مضى الزما نُ عليهِ في خيرِ الجفون(١)
في منزلٍ كحجابِ الغيـ ـبِ استرٌ(٢) عن الظنون
حتى أتى العلمُ الجسو رُ فقضّ خاتمه المصون
والعلمُ (بدريٌّ)(٣) أحلّ لأهلهِ ما يصنعون
هتك الحجال على الحضا رةِ والخدورَ على الفنون
واندسّ كالمصباحِ في حُجَرٍ من الاجداثِ جُون(٤)
حُجَرٌ مردّدةُ المعا قلِ في الثرى ثمّ الحصون
لا تهتدي الريحُ الهبو بُ لها ولا الغيثُ الهتون
خانتْ أمانةَ جارها والقبرُ كالدنيا يخون

***

يا ابنَ الثواقبِ من (رعٍ) وابنَ الزواهرِ من (أمون)(٥)
نسبٌ عريقٌ في الضحى بذّ(٦) القبائلَ والبطون
أرأيتَ كيف يؤوب من غمرِ القضاء المغرقون؟
وتدولُ آثارُ القرو نِ على رحى الزمن الطحون؟
حبُّ الخلودِ بنى لكم خلقاً به تتفرّدون
لم يأخذِ المتقدّمو ن به ولا المتأخرون

(١) جمع جون اي غمد السيف اشارة الى مدفن توت عنخ آمون
(٢) استر توارى (٣) بدري : نسبة الى بدر وفي الاثر : ان اهل بدر مغفورة لهم هفواتهم (٤) سرد (٥) رع وأمون : معبودان مصريان قديمان (٦) غلب

حتى تابتم الى الاحسان فيما تعملون
لم تتركوهُ في الخليقة ولا الحقير من الشؤون
هذا القيامُ فقل لنا : اليومُ الاخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غاية زائلٍ فانٍ وانتم خالدون
السبقُ من عاداتكم أترى القيامةَ تسبقون ؟
أنتم أساطينُ الحضا رةِ والبناةُ المحسنون
المتقنونَ وانما يُجزَى الخلودَ المتقنون

***

أنزلتَ حُفرةَ هالكٍ أم حجرةَ الملكِ المكين
أم في مكانٍ بينَ ذا لكَ يدهش المتأملين
هو من قبور السلفين ومن قصور المترفين
لم يبقَ غالٍ في الحضا رةِ لم يحزهُ ولا ثمين
ميتٌ تحيطُ بهِ الحيا ةُ ، زمانهُ سمهُ دفين
وذخائرٌ من أعصرٍ ولَّتْ ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزما نَ واهلهُ المتكبرين
فتلفَّتْ باريسُ تحسبُ انها صنعُ البنين

***

ذهبٌ يبطرُ الارض لم تذهبْ بلحتهِ القرون
استحدثتْ لكَ جندلا وصفائحاً منهُ القيون[1]
ونواوساً وهاجعةً لم يتخذها الخامدون
لو يفطنُ الموتى لما سرّحوا الاناملَ ينبشون
وتنازعوا الذهبَ الذي كانوا لهُ يتفانون
اكفانُ وشيٍ فُصِّلتْ برقائقِ الذهبِ الفتين[2]
قد لفَّها لفَّ الضيا ءِ محيطُ آسٍ رزين
وكأنهنَّ كمائمٌ وكأنك الوردُ الجنين
وبكلِّ ركنٍ صورةٌ وبكل زاويةٍ رقين[3]

(١) القيون : الصناع (٢) الفتين : المحرق (٣) الرقين : الرقيم وهو الكتاب

وترى الدُّمى فتخالها انتثرتْ على جنبات زون[١]
صورٌ تُريك تحرُّكاً والاصلُ في الصُّور السكون
وبمرْأى رائع صمتها بالحسّ كالنطق المبين
صحب الزمانَ دهانُها حيناً عهيداً [٢] بعد حين
غضٌّ على طول البِلَى حيٌّ على طول المنون
خدع العيونَ ولم يزلْ حتى تحدّى اللامسين
غلمانُ قصرك في الرّكا ب يُناولون ويطردون [٣]
واليوقُ يهتفُ والدها مُ ترنُّ ، والقوسُ الحنون
وكلابُ صيدكَ لُهَّثٌ والخيلُ جُنَّ لها جنون
والوحشُ ينفرُ في السهو لِ وتارةً يشبُ العرُّون
والطيرُ ترسفُ في الجرا ح وفي مناقرها أنين
وكأنَّ آباء البريـ ـة في المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دُولةَ (آل شم سِ[٤]) عن شمالك واليمين

***

ملكَ الملوك تحيّةً ورلاء محتفظٍ امين
هذا المقام عرفتُهُ وسبقتُ فيهِ القائلين
ووقفتُ في آثارِكم أزن الجلال واستبين
وبنيتُ في العشرينَ من أحجارها شعري الرصين
سالتْ عيونُ قصائدي وجرى من الحجر المعين
أقعدتُ جيلاً للهوى وأفتُ جيلاً آخرين
كنتم خيالَ المجد يُر فعُ للشباب الطامحين
وكم استمرتُ جلالكم لمحمدٍ[٥] والمالكين
تاجٌ تنقّلَ في الخيا لِ فما استقرَّ على جبين
خزّانةُ السيفُ الصقيـ ـلُ يشدُّهُ الرحُ السَّنين[٦]

(١) الزون معرض الاصنام (٢) العهيد : القديم (٣) يطردون : يزاولون الصيد
(٤) آل شمس : الفراعنة عباد رع اي الشمس (٥) الخديو محمد توفيق الاول
(٦) السنون

قل لي: أحين بدا الثرى[١] لك ، هل جزعت على العرين؟
آنست ملكاً ليس بالشاكي السلاح ولا الحصين
البرُّ مغلوبٌ لقنا والبحرُ مغلوبُ السفين
لما نظرتَ الى الدنيا رصدتَ يا قلب الحزين[٢]
لم تلقَ حولك غير (كرْ ترْ)[٣] والنطاسيّ المعين!
اقبلتَ من حجب الجلا لِ على قبيلٍ معرضين
تاج الحضارة حين أشرقَ لم يجدهم حافلين
والله يعلم لم يرو هُ من قرونٍ ارتبين

***

قسماً بمن يُحيي العظا مَ ، ولا ازيدكَ من يمين
لو كان من سفرٍ إيا بُكَ أمسِ او فتحٍ مبين
او كان بعثُكَ من دبيـ ـب الرُّوحِ او نبضِ الوتين[٤]
وطلعت من وادي المنو كِ عليكَ غارُ الصاعدين
الخيلُ حولكَ في الجلا لِ[٥] المسجدية بثنين
وعلى نجادكَ هالتا نِ من القنا والدارعين
والجندُ يدقعُ في رِكا بكَ بالملوكِ مُصفَّدين
لرأيتَ جيلاً غير جيـ ـلكَ بالجبابرِ لا بدين
ورأيتَ محكومين قد نعسوا وردُّوا الحاكمين[٦]
رُوحُ الزمان ونظمُهُ وسبيلهُ في الآخرين
إن الزمانَ واهلهُ فرغا من الفرد اللعين
فاذا رأيت مشايخاً او فتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ تجدهمو عن رَكبهِ متخلفين
هم في الاواخر مولداً وعقولهم في الأولين!

(شوقي)

---

(١) الثرى التراب (٢) اعرضت (٣) المستر هوورد كرتر الذي كشف المدفن
(٤) الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه (٥) جمع جل وهو غطاء الفرس
(٦) نعسوا وردوا : ولوا وعزلوا